﴿سورة الناس﴾

وفيها ثلاث مسائل :

المسألة الأولى: دلالة تكرار كلمة ﴿النَّاسِ﴾ فى السورة خمس مرات:

لعل بعض الذين يطعنون فى القرآن الكريم من غير فهم ولا وعى يتساءلون عن الحكمة من تكرار كلمة **﴿ٱلنَّاسِ﴾** فى سورة الناس فى خمسة مواضع من ست آيات هى أصل هذه السورة المباركة ، مع أن الثابت فى كتب البلاغة أن تكرار الكلمة فى أكثر من موضع قريب ينافى البلاغة وحسن البيان.

وهذا كلام معتبر عند البلاغيين لكنه ينتفى إذا كان هناك سبب لهذا التكرار، فما العلة من وراء ورود كلمة **﴿ٱلنَّاسِ﴾** فى مواضع السورة الكريمة ؟

أولاً : لفظ الناس هم الإنس خاصة وهم جماعة لا واحد لها من لفظها، (قيل الناس لغة مفردة فاشتقاقه من النوس وهو الحركة ناس ينوس نوساً إذا تحرك، والأناس لغة أخرى.. ، فاشتقاقأناس من الأُنس خلاف الوحشة وذلك أن بعضهم يأنس ببعض)[1].

ثانياً : هذا التكرار فيه إطناب وتكرار بذكر اسم **﴿ٱلنَّاسِ﴾** وفيه من الشرف لهم وبيان محبة الله ﷻ وعنايته بهم ما لا يخفى على أحد، فهو ربهم وملكهم وإلههم والقائم على حفظهم ورعاية الصالحين منهم وكل هذه المعانى إنما اتضحت بالإطناب و(بتكرار الاسم**﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣)﴾** زيادة فى التعظيم لهم والاعتناء بشأنهم ، ولو قال " ملكهم ، إلههم " لما كان لهم هذا الشأن العظيم)[2]. ويكفى فى شرف الناس أن الله ﷻ كرمهم وقال فى ذلك: **﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ**

(١) غريب الحديث، لابن قتيبة، ٣/ ٦٥٧، مطبعة العانى، بغداد – العراق، ط١ ، سنة ١٣٩٧ هـ.
(٢) صفوة التفاسير، محمد على الصابونى، ٥٤٠/٣، دار الصابونى للطباعة، ط٩.

مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً (٧٠)﴾[1]، ولعل أبرز صور التكريم لهم أن الله ﷻ جعل كلمة **﴿وَٱلنَّاسِ﴾** آخر كلمة يختم بها الرب ﷻ كلامه: **﴿مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ(٦)﴾**، وهنا ملمح عجيب وفقنى الله ﷻ إليه حيث إن مفتتح القرآن: **﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢)﴾**، وخاتمته: **﴿مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ(٦)﴾**، والعالمين جمع عالَم، وهو كل موجود سوى الله ﷻ، فيشمل عالم الجن، وعالم الطير، وعالم الوحش، وعالم النبات، وعالم الجماد، ويدخل فيه عالم الإنس إجمالاً، ثم يأتى ذكر الإنس منفرداً كآخر كلمة فى القرآن الكريم لتتناسب البداية مع النهاية.

ويكون التفصيل بعد الإجمال وذكر الخاص بعد العام، وبذلك يتحقق هذا الترابط والانسجام بين البدء والختام .

ثالثاً: وفى التكرار كذلك ملمح بلاغى أشار إليه د. السامرائى حيث قال: (وكلمة الناس المتكررة كل منها تدل على معنى مختلف لتتناسب مع كلمة رب وملك وإله.

فالناس الأولى أقل من الناس التي بعدها والأخيرة فقد تدرج معنى كلمة الناس من القلة إلى الكثرة على عكس كلمة الرب والملك والإله فقد تدرج من الكثرة إلى القلة، فالرب هو المرشد الموجه وقد يكون هناك العديد من المرشدين في المجتمع لكن لكل دولة ملك خاص بها والدنيا فيها ملوك كثر ولكن الإله واحد لا شريك له لكل الخلق من الإنس والجن، فالإله إله الخلق جميعاً وناسه كثر، أما الملك فناسه أقل من الإله، وكذلك الربّ ناسه أقل لأن الرب هو رب المؤمنين الطائعين فقط وليس كل الناس مؤمنين)[2] وصدق الله ﷻ حين وصف كتابه: **﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (١٩٥)﴾**[3].

---

(١) سورة الإسراء/ من الآية ٧٠ .

(٢) لمسات بيانية فى نصوص من التنزيل، فاضل السمرائى، ص١٢٤ دار عمار، الأردن، ط٣، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م .

(٣) سورة الشعراء / الآية ١٩٥.

المسألة الثانية : ما معنى قوله: ﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤)﴾؟

الجواب: الوسواس فى لغة العرب من الوسوسة وهو (الصوت الخفي من ريح، والوَسْواس صوت الحُلْي والوَسْوسة الكلام الخفي في اختلاط)[١]، والوسواس الخناس هو الشيطان .

ومعنى أن الشيطان وسواس أى يلقى الكلام الخفي من الذنوب والأوهام والشبهات التى تصل إلى القلب من غير سماع ، أما كونه خناساً أى من عادته أن يخنس أي يتأخر إذا ذكر الإنسان ربه ، قال ابن عباسﷺ: (في قوله: **﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤)﴾** قال: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله خَنَس.وكذا قال مجاهد، وقتادة) [٢] .

ويؤخذ من هذا أثر ذكر الله تعالى على سلامة قلب العبد وقوة إيمانه، وأن كيد الشيطان ووسوسته سرعان ما تذهب هباءً بمجرد أن يركن العبد بقلبه ووجدانه إلى ربه، مجرياً ذكر الله على قلبه قبل لسانه، فإن الشيطان عندئذ يخنس ويذهب كيده، ولذا جاء وصف الشيطان بالخناس على وزن فعَّال وهى صيغة مبالغة تفيد كثرة اتصاف الشيطان بهذا الفعل أى (الخنس والنكوص) وفيه بيان لأثر ذكر الله ﷻ على الشيطان وسرعة ارتداده على عقبيه عند ذكر العبد لربه وقد صدق فيه قول الله ﷻ: **﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً (٧٦)﴾**[٣]

المسألة الثالثة: ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥)﴾ لم خصت الصدور بالذكر دون القلوب ؟

لعل فى ذلك إشارة إلى أن الصدر هو ساحة القلب ومدخله فلا بد لمن

---

(١) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، ٢٥٤/٦، دار صادر، بيروت– لبنان .

(٢) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، ٥٤٠/٨، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م .

(٣) سورة النساء / من الآية ٧٦ .

أراد الوصول إلى القلب أن يمر إليه من خلال الصدر أولاً، حيث تجتمع الشبهات والشهوات فى الصدر أولاً قبل أن تلج إلى القلب، وهذا من رحمة الله ﷻ وفضله بأن جعل الصدر خطاً للدفاع عن القلب حتى لا يسهل استيلاء الشيطان على قلب العبد وتحكمه فيه، لأن أثر القلب على الجسد عظيم فبصلاحه صلاح سائر الجسد وبفساده فساد الجسد، فالله ﷻ ينبه المسلم إلى أن يحتاط لقلبه فلا يترك مجالاً لوصول الشيطان إلى قلبه بل يواجهه ويحاربه إذا حاول اقتحام صدره وهو بوابة القلب ومدخله، وهو مايوجب على المرء المسلم تفقد أحواله مع ربه وعدم ترك نفسه من غير محاسبة ولا مراقبة حتى لا يسرع الفساد إلى قلبه، ويمكننا فى هذا الموضع الاستئناس بقول الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾** (١).

حيث نهانا ربنا أن نتتبع خطوات الشيطان لا الشيطان نفسه ، فإنه من أخذ حذره من خطوات الشيطان كان من الشيطان نفسه أبعد،وفيه دلالة على المبالغة فى البعد عن وسوسة الشيطان وتجنب مزالقه ومهالكه .

---

(١) سورة النور / من الآية ٢١ .